

معنى البراءة من المشركين في الحج

المكان: طهران

المناسبة: موسم الحج لعام 1433هـ ق.

الحضور: جمع من المسؤولين والمعنيين بإقامة فريضة الحج

كلمته في القائمين على شؤون الحج لعام 1433 هـ ق

الزمان: 1391/7/3 ش. 1433/11/8 هـ. 2012/09/24 م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِتَضَرُّعٍ وَخَشَوْعٍ أَنْ يَتَقَبَّلَ حَجَّ الْحُجَّاجِ وَضِيُوفَ بَيْتِهِ الْعَزِيزِ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَجُّ مِمَّا يَرْضَاهُ وَيَتَزَلَّ بِهِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ عَلَى الْمَجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ. كَمَا لَا بَدَّ أَنْ أَتَقَدَّمَ بِالشُّكْرِ الصِّمِيمِ لِلْقَائِمِينَ عَلَى الْحَجِّ وَالزِّيَارَةِ سِوَاءٍ فِي الْبَعْثَةِ، أَوْ فِي مَنْظِمَةِ الْحَجِّ وَالزِّيَارَةِ، أَوْ فِي الْأَجْهَزَةِ الَّتِي تَتَعَاوَنُ وَتَعْمَلُ فِي الْمَتْنِ أَوْ الْهُوَامِشِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَامِلِينَ الدُّوَرِيِّينَ وَالْمَسْئُولِينَ الْمُحْتَرَمِينَ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ.

النُّقَاطُ الَّتِي ذَكَرْتُهَا سِوَاءَ السَّيِّدِ قَاضِي عَسْكَرٍ، أَوْ رَئِيسِ الْمَنْظِمَةِ الْمُحْتَرَمِ، وَالْأَعْمَالِ وَالْخَطَوَاتِ الَّتِي قَامُوا بِهَا أَوْ الَّتِي يَرَادُ أَنْ يَقُومُوا بِهَا كُلُّهَا خَطَوَاتٌ جَيِّدَةٌ وَلاَزِمَةٌ. لَتَنْصَبَّ الْمَسَاعِي وَالْجُهُودُ عَلَى تَحْقِيقِ كُلِّ مَا يَتِمَّنَاهُ هَؤُلَاءِ الْمَدْرَاءُ الْمَخْلُصُونَ كَيْ نَسْتَطِيعَ تَقْرِيبَ الْحَجِّ مِنْ حَيْثُ الشَّكْلُ وَالْمَعْنَى وَالْقَالِبُ وَالْمُضْمُونُ مِمَّا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا، وَنَسْتَطِيعَ أَدَاءَ هَذَا الْوَاجِبِ الْعَظِيمِ وَهَذِهِ الْفَرِيضَةُ الْحَاسِمَةُ - وَهِيَ ذَاتُ خُصُوصِيَّاتٍ غَيْرِ مَوْجُودَةٍ فِي آيَةِ فَرِيضَةِ إِسْلَامِيَّةٍ أُخْرَى، فَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْأُمَّةِ وَالْعَالَمِ كُلِّهِ - كَمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا وَلَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الظُّرُوفُ تَخْتَلِفُ.. ظُرُوفُ الْحَجِّ هَذِهِ السَّنَةُ ظُرُوفٌ خَاصَّةٌ. تَجَلَّى وَظُهُورُ عَظَمَةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي أَعْيُنِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْحَبِيبِينَ، وَكَذَلِكَ فِي أَعْيُنِ الْأَعْدَاءِ، مِنْ

خصوصيات الحج في هذا العام. ما ارتكبته الأيدي الآثمة للأعداء بتوجيهها الإهانة لساحته المقدسة في أمريكا قضية لها وجهان أو جانبان: من جهة تدل على عمق البغضاء والأحقاد التي يكتنّها الأعداء والمستكبرون وعملاؤهم لرسول الرحمة والعزة والكرامة ولصاحب أرقى وأعظم المحامد الإنسانية والبشرية على مرّ التاريخ والحياة الإنسانية في كل العالم. فالحدث يدلّ على مدى عدائهم للرسول الأكرم (ص). من ناحية يوجهون هذه الإهانات ومن ناحية أخرى يتخذ ساستهم مواقف في هذه القضية لا تختلف إطلاقاً عن مواقف العداء ! هذا وجه من وجوه القضية. وقد كان هذا مفيداً جداً للعالم الإسلامي. حتى أصعب الناس تصديقاً أدرك بين من ومن يقوم الاصطفاف والمواجهة الأصلية في الوقت الراهن، وما هو محور الصراع بين جبهتي الحق والباطل.. فقد تبين أن الصراع يدور حول محور أصل الإسلام ومحور أصل وجود خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم). كان هذا حدثاً قام به العدو لكن العالم الإسلامي انتفع منه، لأنه عرف العدو وعرف سبب عدائه وعرف محور الخلاف بين الحق والباطل. هذه هي الصراعات اليوم.. وباقي الكلام الذي يسطره المستكبرون في العالم ضد الشعوب المسلمة كلام فرعي وأكاذيب وذرائع، فلقد اتضح ما هو أصل القضية. هذا وجه للقضية.

الوجه الآخر للقضية هو هذا التحرك الهائل للمسلمين. لاحظوا ما الذي يحدث اليوم في العالم الإسلامي، وأي غليان وحمية تبديها الشعوب الإسلامية. وغالبيتهم لم يروا هذا الفيلم لكنهم اطلعوا على أن مثل هذه الإهانة قد حصلت.. لاحظوا أي غليان وفوران يشهده العالم الإسلامي. البلدان الإسلامية والشعوب المسلمة سارت وتحركت من دون أن يطلب أحد منها ذلك ومن دون أن يحضها أحد على ذلك. راحت تهتف بحبة رسولها ومودته بكل وجودها ومن أعماق قلوبها. هذا شيء له قيمة كبيرة، وهو مشهد عجيب. في البلدان الغربية نفسها حيث تتربّع الأصنام الكبيرة والمستكبرون والطواغيت المتمرّدون، ويخططون دوماً ضد الإسلام والأمة الإسلامية، في أوروبا، وفي أمريكا، وفي شتى البلدان غير المسلمة، نزل المسلمون وحتى بعض غير المسلمين إلى الساحة. هذا أيضاً وجه آخر للقضية، وهو على جانب كبير من الأهمية. لقد دلّ كل هذا على إمكانيات العالم الإسلامي للتحرك.

سبق أن قلنا إن نقطة التقاء المسلمين هو الوجود المبارك للرسول الأكرم (ص). أي إن الوجود المقدس لخاتم الأنبياء هو النقطة التي يجتمع فيها كل المسلمين والفرق المختلفة والنحل المتفاوتة

والمذاهب والعقائد المتعددة فيعترفوا كلهم بحقيقة واحدة. هناك لا يعود معنى للسنة والشريعة والفرق المختلفة والمعتدل والمتطرف وما إلى ذلك، فالكل متحدون متفقون بقلوبهم وأرواحهم حيال هذا المركز وهذا المحور وهذا القطب العقيدي الإلهي الإسلامي. هذا ما يظهر اليوم ويبرز في العالم الإسلامي، ويجب اغتنامه كفرصة.

هنا تكتسب البراءة من المشركين معناها في الحج. الحج مكان يجتمع فيه المسلمون من كل أنحاء العالم الإسلامي. ثقافات مختلفة وأعراق مختلفة ولغات مختلفة وشتى الألسن واللهجات واللغات - على حد تعبير الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفة المبارك - تجتمع كلها هناك وتتفق. هذه الوحدة التي يلاحظ شكلها الجسماني والمادي في اجتماعات الحج الكبيرة يجب أن تعمق ويشعر الجميع أنهم أمام خطر واحد وعدو واحد، ويتبرأ الجميع من أعماق كيافهم من هذا العدو. هنا يظهر معنى البراءة من المشركين في الحج.

مقام الوجود المقدس للرسول الأكرم (ص) ومرتبته ليست بالشيء الذي نستطيع نحن البشر بألسنتنا القاصرة الناقصة وبفهومنا القاصرة أن نصورها، إنما نحن نعشق فقط ونبدي الإخلاص والتخضع، ولا نستطيع أكثر من هذا. الرسول من هذا. الرسول من يقول عنه الله تعالى: «إن الله وملائكته يصلون على النبي» (1). الذات الإلهية المقدسة تصلي عليه وملائكة الله تعالى تصلي عليه، فمن نحن حتى نستطيع فهم مقامه ومعرفته؟ لكننا نحبه ونعشقه ونؤمن بكلامه. يجب الحفاظ على هذا الشيء كمبدأ من مبادئنا. يجب أن نؤمن بكلام رسولنا ونصمد عليه، ألا وهو كلام التوحيد والإسلام والقرآن. ينبغي أن يكون الحج مظهراً لهذا.

من مؤامرات العدو الكبيرة - وقد أحبطت إلى حد كبير والحمد لله، لكن يجب على الجميع الحذر - بث الخلافات داخل هذا المشهد المتلاحم العظيم. إننا متفقون على المباني والأصول وأهم قضايا الإسلام، لكنهم يريدون لنا أن نصطدم ببعضنا ببعض الاختلافات النظرية والعقيدية والعملية. نعم، الفرق والنحل الإسلامية تختلف في مسائل شتى، لكن لنقل: إننا مقابلكم يا أعداء الإسلام ويا من توجّهون مثل هذه الإهانات للوجود المقدس للرسول الأكرم متفقون متحدون. ليعلم أعداء الدين والمستكبرون ومدراء الجبهة المعادية للإسلام أن الأمة الإسلامية متحدة متفقة بوجههم، حتى يبعدوا ظنون بث الخلافات عن أذهانهم، ويأسوا من زرع الفرقة والشقاق بيننا. مبلّغونا وكل واحد من أبناء شعبنا ومدراؤنا وأتباع المذاهب المتنوعة،

وستتنا وشيئتنا كلنا يجب أن ندقق في هذا الشأن، ونحذر، ولا نسمح للعدو بتأجيج الخلافات في ما بيننا، فنصبّ غضبنا على بعضنا، ونشغل ببعضنا، وينقذ هو نفسه من غضب الأمة الإسلامية. سيكون هذا خطأ كبيراً. هذه نقطة أساسية بخصوص الحج في هذه السنة.

نقطة أخرى جرى التأكيد عليها مراراً ومن الضروري أن نذكرها هنا هي أن الحج رغم كونه واجباً سياسياً واجتماعياً ومظهراً للوحدة وتجسداً لاجتماع المسلمين للتعبير عن براءتهم من المشركين - وهذا مما لا شك فيه - لكنه إلى ذلك مجموعة زاهرة بالمشاعر المعنوية. هذا شيء يجب أن لا ينسى. منذ بداية الحج ومن الإحرام الذي ترتدونه للعمرة في الميقات إلى آخر الواجبات والفرائض الموجودة في الحج يتموّج ذكر الله.. هذا ما يجب أن نتذكره. ذكر الله تعالى يطهّرنا ويمسح عن قلوبنا الأدراة ويبعدنا عن الغفلة ويقلل فينا حبّ الدنيا والتكالب على الزخارف المادية والمال والمناصب والشهوات الجنسية وغير الجنسية. وهذا ما نحتاجه اليوم وفي كل حين. من أجل أن يستطيع المرء السير في الدرب بصورة صحيحة ولا ينحرف عن الصراط المستقيم الحق يحتاج أن ينمي ذكر الله في قلبه دوماً. وفي هذا السياق فإن الحج من أفضل الفرص، وهو فرصة منقطعة النظير من بعض النواحي. ما أرجوه هو أن تلاحظوا ما الذي تفعلونه ومع من تتحدثون في كل واحد من الأعمال والفرائض والمناسك التي تقومون بها وفي التلبية التي تبتدئون بها. وفي الطواف والسعي والميقات وأماكن الوقوف وفي كل عمل من أعمال الحج اعلّموا مع من نتكلم ومع من نتعامل ولمن نسعى ونجهد أنفسنا. لا نبعد هذا الذكر والخشوع والتضرع عن أنفسنا حتى للحظة واحدة. هذا من الأمور المهمة. وعلى علماء الدين المحترمين خصوصاً ومسؤولي القوافل والمربطين بالأفراد التنبيه إلى هذه النقطة.

والنقطة الأخيرة هي أن العلاقات مع الإخوة المسلمين في العالم الإسلامي يجب أن تتصاعد ويجري إحياؤها في هذا القطب المهم. العلاقات هنا ليست علاقات بين حكومات. علاقات الحكومات علاقات رسمية ولسانية من أجل أمور أخرى. الأواصر بين أبناء الأمة الإسلامية أواصر قلبية، وهي تحصل بتواصل أفراد الشعوب مع بعضهم. في اللقاءات مع الإخوة المسلمين من البلدان الأخرى ليتحدث من يستطيع أن يتحدث ويجيد اللغات الأخرى، ليتحدثوا بالحبّة والجمالات والتركيز على نقاط الاشتراك. والذين لا يجيدون اللغات الأخرى ليظهروا العطف والحبّة بأعمالهم، وعليكم الصبر على بعض الصعاب والعنف. أحدهم قد يصطدم جسمه بكم فابتسموا

له. حاولوا أن تخلقوا هذه الأواصر والتواصل بأعمالكم، وليس من أجل صيانة سمعة وعزة إيران والشعب الإيراني وحسب - وهذا بالطبع مهم جداً في محله - إنما لأجل مدّ هذه الجسور والأواصر القلبية. إنهم مسلمون مهما كانت أعراقهم ولغاتهم ومذاهبهم. هم أيضاً كما أنتم جاءوا حباً للكعبة وللرسول، ويسبّرون في نفس الطريق، وهم أيضاً يتحدثون مع الله. أظهرُوا هذه الوجوه المشتركة ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً، حتى يدركوا أن هذه الوجوه المشتركة موجودة. حينما يشعر المسلم من أقصى أنحاء الأرض أن له في البلدان الأخرى وبين الشعوب الأخرى إخوة فسوف تتقوى روحه ومعنوياته ويكتسب الثقة بنفسه، وينقذ نفسه من أحوال الضعف والخور التي تريد الأيدي المستكبرة الخبيثة فرضها على المسلمين. ينبغي تعزيز هذه الحالة.

نسأل الله تعالى أن يترل بركاته على حجاجنا وكل حجاج العالم الإسلامي. وستشملكم جميعاً إن شاء الله الأدعية الزاكية لسيدنا الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا فداه) ونستطيع جميعنا إن شاء الله بالاستمداد من الأرواح الطاهرة للأولياء والشهداء والروح الطاهرة لإمامنا الخميني الجليل أن نسير في الدرب الذي يرضاه رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته